

مشروعية

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

الحمد لله والصلاة على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب/56]، وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة".

إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مناسبة عزيزة على المسلمين يحتفل بها الصادقون الذين آمنوا بنبي الهدى وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. ولقد درجت الجزائر كغيرها من بلاد الإسلام على الاحتفال بمولد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من أمد ليس بالقريب.

تذكر كتب التاريخ أن أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالاً لم يشهده التاريخ من قبل، هو أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني الجنس، الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل، في أوائل القرن السابع أو أواخر السادس، وكان يجتمع في هذا الحفل الأمراء والفقهاء والصالحون وأعيان الدولة، بل يترك كل عمل في ذلك اليوم ليشهدوا الحفل الهائل ولا يشغلوا أنفسهم بشيء سوى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

وقد وصف ابن كثير في تاريخه مظفر الدين هذا، بقوله كان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً (رحمه الله) فإذا كان هذا وصفه فهلا نظن به الخير فيما أراد؟! بل يذكر أبو شامة، أن له في ذلك سلفاً من أهل العلم حيث كان أول من أحيا المولد بالموصل هو الشيخ عمر بن محمد الملا، أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل، وإليه أشار صاحب البداية الحافظ ابن كثير.

وقد استحسّن جماهير المسلمين هذا العمل في كل ربيع من كل سنة، والذي يجمع الناس على تلاوة القرآن وذكر الله تعالى، وعنايته سبحانه برسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف تولاه بحفظه، وقراءة شيء من سيرته وشمائله العطرة وخصاله وذكر

محاسنه الخلقية والخلقية، والصلاة والسلام عليه والدعاء والابتهال، اغتناما لهذه الفرصة المبهجة المفرحة.

يقول الحافظ السخاوي: "ولا زال أهل الإسلام في سائر الأقطار والمدن الكبار يحتفلون في شهر مولده بعمل الوائم البديعة المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة كتب مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم".

هل الاحتفال بالمولد بدعة؟

قبل أن نجيب عن هذا السؤال، ينبغي أن نحدد مفهوم البدعة، فقد روى الإمام البيهقي بإسناده في مناقب الإمام الشافعي قوله: "المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة ضلالة، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى".

فعلى أي وجه يخرج الاحتفال بالمولد النبوي الشريف؟! إن هذا العمل مبرور لما فيه من تعظيم المصطفى صلى الله عليه وسلم، والفرح به في يوم ميلاده وقد ربط الشارع صيام الاثنين تعليلاً لهذه الفرحة في يوم ميلاده كما في حديث من سأل الرسول الكريم عن صيام الاثنين فقال له صلى الله عليه وسلم: "ذاك يوم ولد فيه ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه". فإظهار الفرحة بهذه المناسبة أمر مشروع، والمبالغة في فعل الخيرات والنفقات والصدقات، وإقامة الموائد لإطعام الفقراء والمساكين كذلك أمر مشروع لا يدخل في الابتداع في الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: "فتعظيم المولد واتخاذة موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد".

ولهذا قيل للإمام أحمد عن أحد الأمراء أنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: "دعوه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب". ولعل الصحابة أو التابعين ما كتبوا المصحف بالذهب ولا حللوا ذلك، فما كان من الإمام إلا أن أجازه لما فيه من

إجلال القرآن وتعظيمه، فهل يقال أقرهم الإمام على بدعة، وهو إمام السنة؟ وكذلك الشأن في المولد النبوي الشريف.

يقول الإمام السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوى في رسالة مطولة أسماها حسن القصد في عمل المولد: "عندي أصل عمل المولد النبوي الشريف الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سباط للأكل وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف".

وإن مما يمكن الاستئناس به من القرآن الكريم في هذا المجال، قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرِحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس/58]؛ وأي فضل أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم؟ وأي رحمة أكمل من محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟

وقد ذكر ابن دحية أن "فضل الله" من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم؛ وحكى الماوردي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء/83] أقوالاً أحدها أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فالفرح المشروع الذي أمرنا أن نظهره ونفخر به هو الفرح بمحمد صلى الله عليه وسلم.

التأصيل الشرعي للاحتفال بالمولد:

سئل الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني عن عمل المولد، فأجاب، رضي الله عنه: "قد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة المنورة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم: فقالوا: "يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى". فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة؛ وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي، نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء".

وقد حاول الإمام السيوطي أن يخرج على أصل آخر وهو ما رواه البيهقي من أن النبي صلى الله عليه وسلم: "عقّ نفسه بعد النبوة" غير أن هذا النص منكر لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام البيهقي، بل باطل كما أشار الإمام النووي في شرح المذهب، فهو تخريج ضعيف من أساسه.

ولكن الكفاية فيما ذكره ابن حجر رحمه الله وهو من هو في الفقه والحديث.

وقد ذكر إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتابه المسمى عرف التعريف بالمولد النبوي الشريف من أنه ثبت أن أبا لهب روي بعد موته فقيلاً له: ما حالك؟ قال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل ليلة إثنين وأمس من بين أصبعي ماء بقدر هذا، وأشار لرأس أصبعه، وإن ذلك بإعتاقي لتوبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم، وبارضاعها له، فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بزمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم؟ لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضل جنات النعيم.

وفي ذلك قال الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر في كتابه المسمى ورد الصادي في مولود الهادي:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه	ببنت يده في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً	يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذي كان عمره	بأحمد مسروراً ومات موحداً

غير أنه يجب القول هنا بأن هذا العمل قد يخالطه ما لا يليق من الأعمال كالغناء المحرم واللغو المحذور والرقص المتهتك والاختلاط الممنوع، كما ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى، فإن هذه الأعمال يجب تركها والابتعاد عنها والالتزام بالمبرات والأعمال الصالحة.

وهذا ما قاله ابن حجر رحمه الله: "أما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم فيه الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاء شيء من المدائح النبوية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للأخرة. وأما ما

أتابع ذلك من السماع واللهم وقرى ذلك فىنبغى أن يقال ما كان من ذلك مباحا بقرى
ىقتضى السرور بذلك اليوم، فلا بأس بالحقاقه به، وما كان حراما أو مكروها فىمنعه
وكذا ما كان خلاف الأولى".

ومهما تكن آراء العلماء المسلمين فى مسألة الاحتفال بالمولد النبوى
الشرىف ومشروعية هذا الاحتفال، فإن حاجة أربالنا التى نربدها أن تتشأ على حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى معرفة سبرته والإمام بقرىاته، وتقدير جهاده
من أجل نشر الدعوة الإسلامية وهداية الناس إلى الخىر والحق.

هذه الحاجة تفرض أن نجعل من ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم مناسبة دينية
وتاريخية يلتقى فيها المسلمون الكبار والصغار، ويستعرضون أقواله وأفعاله
وأخلاقه لىأخذوا منها نموذجا لسلوكهم اليومى، وىأذكرون من خلال ذلك كيف كان
العالم قبل بعثة سيد الخلق وبداية الدعوة إلى الإسلام، وكيف واجه النبى صلى الله
عليه وسلم المعادين لهذه الدعوة.

إن ما نتوخاه من الاحتفال بالمولد النبوى الشرىف هو أن نجدد تعلقنا بقرى الإسلام
والمبادئ التى جسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلوكه، وفى تربية
أصحابه، وفى التعامل مع المؤمنين وقرى المؤمنين.

إن هؤلاء الذين يمنعون أصل المولد بأى صفة وقع، كان الأجدر بهم أن ىأبىنوا
الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وىأميزوا الخبىث من الطيب، حتى لا
ىكونوا كحاطب لىل، استحلب الول، واستحلب العذاب الول.

نعوذ بالله تعالى من السلب بعد العطاء، ومن الخذلان بعد التوفىق ...

والله ىهدي إلى سواء السبىل.

هيئة الإفتاء

بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف